بسم الله الرحمن الرحيم

فِقْهُ الفقرِ والمَسْألة

١٥ / ٨ / ١٤٤٦هـ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إن من الفقه الغائب عن كثيرٍ من الناس، فِقهٌ غَفَلَت عنه القلوب، وتناءت عن استحضاره الأفئدة، فِقهٌ لا شيء يُقرِّب مثلُه إلى الله، ولا أنفع له في حياة السائرين منه إلى الله، فِقهٌ يُخْبِت القلوبَ ويرزُقُها التواضعَ والمسكنة، فِقهٌ يُربّي في النفس البُعدَ عن التكبرِ والإيذاء، فِقهٌ يورث في النفس الغنى، ويُكَرِّس في الروح حُبَّ القناعة، إنه فقه الفقر!.

الفقر التعبدي!

نعم. فقه الفقر. وذلك بأن تعتقد بأن كلَّ الناس فقراءُ إلى الله، وكلَّ موجود سوى الله فهو فقير إليه محتاج لكريم

عطاياه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾

أنت فقير في الإيجاد، ولولا خلق الله لك لما كنت في هذا الوجود أصلًا، ولما أُودِعتَ في أصلاب الرجال دهرًا، ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾.

أنت فقير في المَدَد، فلولا مددُ الله لك بالرزق والقوة، والقوت والصحة، لكنت نكرةً من النكرات، ولولا غنى الله لكنت أضعفَ مخلوق.

أنت فقير في التعليم والعلم، ولولا علم الله وخِبرتُه لما صلح عيش لك ولا حياة، وَلَعَطِبَت العقول.

أنت فقير في صرف النقم ودفع البلايا والمحن، ولولا لطف الله وقوتُه لخَبَطَتْك المنايا والبلايا ليل نهار.

فما أحوجنا أن نَذْكُر شديدَ فقرِنا إلى الغني الذي لا أغنى منه، فكم نَسِيَت القلوبُ غناه-سبحانه- فأورثها ذلك النسيانُ التعبَ والنَكَد والجَهْد في هذه الحياة.

وإن من كمال غناك بالله ألا تسأل الناس الدعاء، بل أنت تطلب ربَّك وتناجيه، ولو عَلِمْتَ مدى فقرِك إليه وشديدِ

لَجَئِك إلى سلطانه لَسَألْتَه فأجابك، وَلَتوكَّلْت عليه فأعطاك، وَلَرَغِبْت إلى جودِه فأسعدك وأغناك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَصابَتْهُ فَاقَةٌ فَأنزلَها بِالناسِ، لمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، ومَنْ أنزلَها باللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لهُ بِالغِنَى"(١).

الفقر الدنيوي من محن الدنيا.

عباد الله. دَعُونَا ننتقل مِن الفقر بالمفهوم العبودي إلى الله، إلى الفقر الدنيوي كظاهرة مجتمعية تعاني منها الدول ويقاسي مرارتَها الأفراد، لا شك أن الفقر جائحةٌ من جوائح العبيد، بل هو من فتن الدنيا وبلاء الحياة، فالله كما يبلو بالغنى فإنه يبلو بالفقر، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

تعوذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفقر.

وقد جعل بعضُ العلماء الفقيرَ الصابرَ أعظمَ أجرًا من الغني الشاكر، وما ذلك إلا لشدة المأساة التي يجلبها الفقر على صاحبه؛ وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهمَّ إنّي

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

أعوذُ بك من الفقرِ والقِلَّةِ والذِّلَّةِ"[1]، فإن الفقر لربما جلب على المجتمع الشرَّ وقلةَ الورع، والوقوعَ في المآثم طمعًا في المال، وبحثًا عن كِسرةٍ من حياة، ورَمَقٍ من عيش، "وإنه ما افتقر رجلٌ قط إلا أصابته ثلاثُ خصال: رقَّةٌ في دِينه، وضعفٌ في عقله، وذهابُ مروءته، وأخطر مِن هذه الثلاث: استخفافُ الناس به"[2] تأمل دعائه ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع"[3]، فبئس لحافًا يَلْتَحِفُ به المرءُ فقرُه وهوانُه على الناس.

اقتران الكفر والفقر.

وقد جَمَعَتْ بعضُ النصوص اقترانَ الكفر بالفقر، بيانًا لشدة ما يُفضي الأولُ على الثاني، وكان أبو بكرة يتعوذ بالله من الكفر والفقر ثلاثًا في الصباح، وثلاثًا في المساء ويقول: سمعت النبي ﷺ يتعوذ منهن صباحًا

---

(١) رواه أحمد وأبو داود، وقوى إسناده الذهبي.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٦٢).

(٣) رواه أبو داود.

ومساء ويقول: "اللَّهمَّ إنّي أَعوذُ بكَ منَ الكُفرِ والفَقرِ"[1]، وقديمًا قالوا: "كاد الفقر أن يكون كفرًا"[2].

فالفقر كنز البلاء، وهو الموت الأحمر، ولا يُدرَى أيهما أَمَرُّ؟ موتُ الغني أم حياةُ الفقير، فالفقير حيٌّ كميت، غِذَاؤه الخوى، وعَشَاؤه الطَّوَى[3].

ميزان الغنى والفقر لدى الإسلام.

عباد الله. إن السيادة الدنيوية لا أثر لها، والغنى المالي لا ميزان له، وإنما الموازين عند الله بالقلوب المتعلقة بالآخرة، وإن كانت فقيرة، مرَّ رجل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل عنده جالس: "ما رأيك في هذا؟" فقال الرجل: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن يُنكَح، وإن شَفَعَ أن يُشفَّع. فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم مر رجل آخر، فقال

---

(١) رواه النسائي.

(٢) لا يصح مرفوعًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل جاء عن بعض السلف.

(٣) انظر: التمثيل والمحاضرة، للثعالبي (ص:٣٩٥)

له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "ما رأيك في هذا؟" فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا يُنْكَحَ، وإن شفع ألا يُشَفَّعَ، وإن قال ألا يُسْمَعَ لقوله، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "هذا خيرٌ مِن ملء الأرض مثل هذا"(١)، فالغنى والفقر لا يقربان إلى الله، وإنما القربى بتفاوتِ ما في القلوب.

تصدي الإسلام لمشكلة الفقر.

عالج الإسلام قضية الفقر منذ طلائع النبوة الأولى، يوم كان في مكة، فكانت الآيات تنزل على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ محذرة من صفات المُكذِّب بالدين وأنه شحيح بخيل، مجحف في حق اليتامى والمساكين، فقال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾.

ومنظور الإسلام عن المال أنه مال الله، وأن الناس

---

(١) متفق عليه.

مُستَخلَفُون فيه، فإنما المال وديعةٌ، قال تعالى:﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، ثم هذه الحقوق ستكون تحت الحساب، ومظلةِ الثواب والعقاب: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، فلم يأت الإسلام لجعل المال بين الأغنياء فحسب، ولا أن يسلب الأغنياءَ مالهم فيجعلَهم هم والفقراءَ في حدٍّ سواء، بل أخبر أن في مال الغني حقًا للفقير، ولولا ذلك لكان المالُ بيد الأغنياء دون الفقراء، ولكان بِيدِ فئةٍ قليلة من الناس، وهذا تأباه حكمة الله:﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ أي: مداولةً ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ ولو تداولته الأغنياء، لكان في ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله.

إن نظرة الإسلام لسد حالة الفقير نظرةُ رحمةٍ وشفقة، وكان من كلامهم أنك ما وَجَدت فقيرًا إلا وَجَدت بجانبه غنيٌّ ضيع حق الله له، قال معاوية-رضي الله عنه-: "ما رأيتُ سَرِفًا قط إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضَيَّع"(١).

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة (١/٤٥٤).

آداب الفقر.

وللفقر آدابٌ يتحلى بها الفقير، فمنها:

١-أدب الباطن، وذلك بأن لا يكون متسخطًا لقضاء الله وقَدَرِه، فالله أعلم بما يُصْلِحُ الناس، فإن الإنسان بطبعه يحب الطغيان متى ما استغنى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ العلق: ٦ – ٧، فلعل فقرَه هو خيرٌ له في آخرته.

ومن الآداب التي يتحلى بها الفقير:

٢-أدب الظاهر، بأن يُظهِر التعفف والتَّجمُّل، ولا يظهرَ الشكوى والفقر، بل يَسترُ فقرَه وعَوَزَه، فهؤلاء هم الفقراء الأغنياء: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾البقرة: ٢٧٣ .

ومن الآداب التي يتحلى بها الفقير:

٣-أدب السؤال، فإن الفقير يُحرَّم عليه السؤال إلا عند الضرورة، أو الحاجةِ المهمة، وسؤالُه الناسَ فيه ثلاث مضار: أ- إظهار الشكوى لغير الله. ب-أن في سؤاله الناسَ إذلالٌ لنفسه، وليس للمؤمن أن يُذِلّ نفسه لغير الله.

ج-أن السؤال لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا.

وليتذكر السائلُ أن سؤال الناس تَكثُّرًا يُعَدَّ من عظائم الأمور، وذلك بأن يسأل ما ليس له به حاجة، وإنما ليُكثِّر مالَه، ويجاريَ الأغنياء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من سأل الناس أموالهم تَكثُّرًا، فإنما يسأل جمرًا"(١). وكم من الفقراء من شغلهم فقرُهم عن طاعة الله، والتوكلِ عليه، والرغبةِ إليه، إلى أكل أموال الناس بالباطل، والاحتيال عليهم.

أقول ما تسمعون...

الخطبة الثانية: الحمد لله.

تحذير السلف من التسول في المساجد وغيرها.

ومع ضعف الديانة، وانتشار قلة الإيمان والصيانة، كثر بين الناس من يدعي الحاجة، وامتلأت العيون بأثواب الفقر الخادعة، حتى صار الكذبُ عند الكثير يَغْلِب عدد الشعر، قال الإمام أحمد: "أكذب النَّاس الْقُصَّاص وَالسُّؤَال"(٢).

---

(١) رواه مسلم

(٢) الآداب الشرعية (٢/٨٢).

وكان السلف رحمهم الله يتناهون جدًا عن سؤال الناس، ويرونه عيبًا، قالت أم الدرداء قال لي أبو الدرداء: "لا تسألي الناس شيئًا". فقلت: فإن احتجتُ؟ قال: "فإن احتجتِ فتتبعي الحصَّادين فانظري ما سقط منهم فاخبطيه، ثم اطحنيه ثم كليه، ولا تسألي الناس شيئًا"(١).

وكانوا يرون أن السؤال في المسجد مشقةٌ على الناس، وإلحاحٌ مخرج عن الأدب، قال الإمام أحمد: "من صلى في المسجد، فقام، فأعطاه الناسُ شيئًا؛ فقد ألح في المسألة"(٢).

وعلى المحتاج أن يتق الله ويطلبَ الرزق بيده، وأن يدع الكسل والتواني، فكسب اليد أعظم بركة، قال ﷺ: "لَأَنْ يَغْدُوَ أحَدُكم فَيَحْتَطِبَ على ظَهرِهِ، فيَتَصَدَّقَ مِنهُ، ويَسْتَغْنِي به عنِ النَّاسِ، خَيرٌ له من أنْ يَسألَ رَجُلًا، أعطاهُ أو مَنَعهُ"(٣).

---

(١) علوم الإمام أحمد (١٠/٢٦٠)

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه الترمذي.

عمرُ يضرب متسولًا بعد الصلاة!

إن ظاهرة التسول غدت من أعمال التجارة، مهددةً للأمن القومي، حتى دخل في التسول الاتجارُ بالبشر.

سمع عمر سائلًا يسأل بعد المغرب، فقال لواحد من قومه: "عَشّ الرجل"، فعشَّاه، ثم جاء السائل في وقت آخر وأخذ يسأل الناس، فنظر عمر، فإذا تحت يد السائل مِخلاةٌ (أي كيس) مملوءةٌ خُبزًا، فقال له عمر: "لستَ سائلًا ولكنك تاجر"، ثم أخذ المِخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة، وضربه بالدِّرة وقال: "لا تَعُد"[1]. "وَلَوْلَا أن سُؤَالُهُ كَانَ حَرَامًا لَمَا ضَرَبَهُ وَلَا أَخَذَ مِخلاته"[2].

التسول في المساجد مُحرَّم في بعض المذاهب!

وقد كره العلماء التسول في المساجد، وكرهوا التصدق عليهم فيها، قال البهوتي: "يُكْرَهُ سُؤَال الصَّدَقَةِ فِي

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢١١).

(٢) من كلام الغزالي في المرجع السابق (٤/٢١١).

الْمَسْجِدِ، وَالتَّصَدُّقُ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ إِعَانَةٌ عَلَى الْمَكْرُوهِ"[١]، بل حرَّم الحنفية التسول في المساجد، وعلق الشافعية التحريم إذا كان المتسول مُحْدِثًا جَلَبَة في المسجد[٢].

متسولةٌ مات وتركت الملايين!

وإنا لا ننسى ذلك الخبرَ، والذي كان حديثَ الناس يوم أن توفيت امرأةٌ في بيت شعبي، وقد امتهنت التسول ٥٠ سنة، وتركت تركة تقدر بثلاثة ملايين ريال سعودي، ومجوهرات وجنيهات ذهبية بما يعادل مليون ريال سعودي[٣]، وليس لنا حيال ذلك إلا أن نتذكر حديثَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما يزالُ الرجلُ يَسألُ الناسَ، حتى يأتيَ يومَ القيامة ليس في وجهه مُزعةُ لَحْم"[٤].

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد

---

(١) كشاف القناع (٢/٣٧١).

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة (١/٢٦٣).

(٣) جريدة الشرق ٢٠١٤/٣/١٨

(٣) رواه البخاري.